

دور الوحدات العسكرية السودانية

في ثورة ١٩٢٤

للدكتور أحمد إبراهيم دياب

جامعة أم درمان الإسلامية

أقدم هذه الدراسة عن « دور الوحدات السودانية في ثورة ١٩٢٤ » ،
وهذه الفترة لم تدرس لذاتها بالتفصيل ، بل أن كل الذين تعرضوا لدراستها
ربطوها بغيرها من الأحداث ولم يهتم أحد بوضعها في موضعها وإعطائها
ذاتيتها وكيئوتها وذلك عندى الخوفهم من كشف حقائق هذه الفترة المعاصرة .

وما من شك في أن الذين يرغبون في تسجيل التاريخ المعاصر ودراسته
على حقيقته في مجتمعنا السوداني يتعرضون لامتحان عسير في الجبن والشجاعة
وهما أمران أحلاهما مر ، لأن الجبن بالمحاباة إهدار للذمة ، والأمانة ، والشجاعة
ستجلب لصاحبها العداوة والكراهية والحقد في مجتمعنا الذي يعيش على
الشائبة والانتقامات ، ويفسك في مصالحه الشخصية ، ويقدمها على المصلحة
الوطنية . ومع ذلك فقد اخترت جانب الشجاعة المحضة في هذه الدراسة
معتمداً على الأسس التالية التي آليت على نفسي أن أسير عليها في كل بحث
أو دراسة أقدها .

أولاً : الفترة التي كانت هذه الدراسة جزءاً منها هي أدق فترات السودان
المعاصر في بنائه وطمس الحقائق التي صاحبت هذه الفترة وتزويرها وتعديلها

لمصلحة عهد من العهود أو وضع من الأوضاع ، تضليل أثر على مسيرة
واستقرار السودان بعد الاستقلال .

ثانياً : العقلاء من الناس يقدرّون الحقيقة ولا تهتمهم الشخصيات مهما
كان مركزها الاجتماعي أو وضعها العائلي أو المالي أو الطبقي الذي وصلت
إليه في وقت من الأوقات وبطرقها الخاصة في عهد الاستعمار وبمساعده ،
ويجرون وراء البحث العلمي عنها . أما غير العقلاء في المجتمع أو الذين
لا تهتمهم مصلحة وطنهم فلا عبرة ولا أهمية لانعكاس الحقائق على نفوسهم
لانهم إما صاروا تبساً لأفكار أو عقائد وهمية أو شخصيات رمزية اصطناعية .

ثالثاً : إن التاريخ المزيف مهما وجد من عناية وتأييد ورعاية لا يعيش
إلا ريثما ينكشف وهو يدمر صاحبه حياً أو ميتاً .

رابعاً : لم يمنعني حبي وتقديري لرجال كبار في المجتمع السوداني أن
أسجل مواقفهم التي وقفوها في هذه الفترة وفقاً لما تمخضت عنه الوثائق
بعد تحليلها تحليلاً علمياً موضوعياً .

وانطلاقاً من هذه الأسس أقدم هذه الدراسة متحرياً بقدر المستطاع
أن أكون محايداً ، أعطي كل ذي حق حقه ، وإن خالف مذهبه رأيي وفكرة
وطنيتي ، ولكنني لم أستطع بحال من الأحوال أن أتغاضى عن كشف القناع
عن وجه أعوان الاستعمار البريطاني وعن أساس المراهقين فكرياً وتجار
الدين والمناصب لا لكرهيتي لمؤلاء أو أولئك ولا لما لحقوه وما زالوا
يلحقونه بالسودان من أذى وعنيت وإرهاق وتضليل وجرياً وراء الحكيم ،
بل لجلاء الحقيقة التي تغاضى عنها السياسيون والباحثون والكتاب .

أما أحداث الدراسة فتقول :

اختلفت الروايات في التاريخ الذي تم فيه تكوين جمعية اللواء الأبيض

وذلك لأنها بدأت سرية أولاً ثم كشفت الغطاء عن نفسها عندما أرسلت برقية إلى الحاكم العام في ١٦ مايو ١٩٢٤ . وفي رأى المخابرات أن الجمعية قد تكونت في أكتوبر ١٩٢٣ وكان أسسها «الشبيبة السودانية»^(١) وتغير هذا الاسم إلى اللواء الأبيض في مايو ١٩٢٤ عندما انعقد أو اجتمع حضره حسب قول تقرير المخابرات كل من الملازم أول علي عبد اللطيف وصالح عبدالقادر وحسن شريف وعبيد حاج الأمين وحسن صالح المطلبجي وأسطى رمضان محمد وإسماعيل ومكي إبراهيم المشلى وموسى لاط وحسن مدحت وعز الدين راسخ وعلي أحمد صالح والطبيب بابكر وأحمد الميناوي وأحمد المليجي وتوفيق وهي ويزوباشي عبد الحميد حافظ ويزوباشي أحمد الصاوي وملازم فؤاد حافظ^(٢) . وفي هذا الاجتماع تم اختيار اسم اللواء الأبيض اسماً للجمعية، ويتضح من الأسماء التي ذكرتها والتي تعتبر بمثابة لجنة مركزية أن للنخبة العسكرية دوراً واضحاً في العمل داخل التنظيم السيامي ومن هنا يظهر لنا أن كل ما حدث بعد ذلك بين صفوف العسكريين وفي وحداتهم تجاوباً مع فكر اللواء الأبيض لم يكن شيئاً عفويّاً بل كان نابعا من الصلة بالتنظيم السيامي .

وقد ظهرت هذه الصلة أول ما ظهرت عندما تم تكوين وفد من اثنين من أعضاء اللواء الأبيض ليحملوا عرائض الولاء لمصر لتكون سنداً للمفاوض المصري ضد العرائض التي جمعتها الإدارة البريطانية بمساعدة السادة أعضاء وفد ولواء الأعيان الذي سافر لانتجلترا في ١٩١٩ ، وكان على رأسهم السادة هلي الميرغني والشريف يوسف الهندي وعبد الرحمن المهدي وقد كان وفد الجمعية مكوناً من الملازم أول زين العابدين عبد التام رئيساً للوفد وممثلاً للجناح العسكري في الجمعية وكان معه في الوفد محمد المهدي الخليفة عبد الله ليمثل الجانب المدني .

وتكوين الوفد من عسكري ومدني يوضح نشاط اللواء الأبيض في

الجماعين كما أن فيه تمثيلا للجانب الاجتماعي والوحدة الوطنية وهو أن الجمعية لا تؤمن بالفوارق الاجتماعية ولا بالعنصرية والقبلية بل أنها حاربت العنصرية والقبلية والطائفية^(٢) التي ولدت وترعرت في أحضان الإدارة البريطانية وغذتها ورعتها السياسة الاستعمارية لتتكون سلاحاً تضرب به وحدة الشعب السوداني وقتما تريد كما حاربت الجمعية القبلية في أبسط صورها بل أن الجمعية كانت بوتقة انصهرت فيها كل الفوارق الاجتماعية لتتصب في قالب الوحدة.

وفي ٢٣ يونيو ١٩٢٤ تم القبض على خمسة من أعضاء الجمعية بعد قيادتهم مظاهرة ، وكان بينهم الملازم زين العابدين عبد التام وكانت المظاهرة تحدياً لقرار مدير الخرطوم بمنع المظاهرات . وقد أرسل الضباط وضباط الصف المتقاعدين برقية إلى رئيس مجلس الوزراء المصري وضخوا فيها مشاركتهم للشعب واحتجاجهم ضد اعتقال المتظاهرين :^(٣)

« باسم الضباط والموظفين والشعب السوداني نحتج بشدة ضد اعتقال المتظاهرين الذين هتفوا بحياة مصر والسودان بعدما تم ضربهم بالسيوف وسجن خمسة منهم . أننا نؤكد لكم أن كل السودانين غير مسئولين عن أى شيء ربما يحدث نتيجة لهذه السياسة ، .

إعضاء هيئة عشر ضابطاً وصف ضابطاً بينهم اليوزباشى كبسون الجحاك وعبد الله حسن وعبد الله نور وفرج أبو النجا .^(٤) وهذه البرقية تبين لنا المشاركة التامة بل التلاحم بين العسكريين حتى المتقاعدين منهم في الأحداث السياسية التي كانت تجري . ولم تقف المشاركة بإرسال البرقيات والعمل في الميدان السياسي بل أنها تطورت مع تطور الأحداث وتضاعفها فكانت أول مظاهر تلاحم العسكريين مع ثورة اللواء الأبيض ودورهم فيها .

مظاهرة طلاب المدرسة الحربية :

لقد كان للتصاعد السياسي الذي خلفته اعتقالات أعضاء اللواء الأبيض

ومهاكمة على عبداللطيف ومحمد سر الختم المهندس بالرى دافماً لطلبة المدرسة الحربية لكي يتفاعلوا مع المجتمع الذى يعيشون فيه . وقد أثار مظاهر طلبة المدرسة الحربية الجزع بين صفوف رجال الإدارة البريطانية ، وقد سبق أن حذر مكتب المخابرات من خطر الثورة بين الوحدات السودانية بحاميات الجيش المصرى . كما حذر السيد عبد الرحمن الساطات البريطانية ، فى تقرير رفعه للمخابرات درقم ٣٧١/١٠٩٠٥ ص ١٢ تقرير ايورت عن القلاقل السياسية فى السودان د فى ٣١ يوليو ١٩٢٤ ، موضحاً احتمال ثورة تقوم بها الوحدات السودانية العاملة فى الجيش المصرى ^(٦) . بينما وصفهم السيد على فى خطاب له للحاكم العام بقوله د إن أصدقاء الحكومة المخاضين هم دافى الضرائب أما أسوأ أعدائهم فهم أولئك الذين يأخذون مرتبات من الحكومة مثل الموظفين والضباط السودانيين فى الجيش المصرى ^(٧) .

وهذا يوضح الخوف الذى استحوذ على الشخصيات الموالية للإدارة البريطانية من نجاح الثورة خوفاً على موقفها ومستقبلها الرهين بالوجود البريطانى .

لقد كان انصر بحات الرعاء الدينبيين وأقوالهم ضد جمعية اللواء الأبيض دافماً لطلبة المدرسة الحربية لكي يتفاعلوا مع المجتمع الذى يعيشون فيه . فقد عادوا من أجازاتهم السنوية وانتظموا فى الدراسة فى آخر يوليو ويقول محمد عثمان عبد البخيت أحد طلبة المدرسة فى مذكراته دمرى النشاط السياسى إلى مجتمعنا بسبب بعض التصرفات وبدأنا نجتمع بعد الساعة التاسعة ليلاً سرأ فى أحد عتار الداخلية لتداول الموقف وبدأ الحماس يسرى فى صفوفنا وفى مساء الجمعة ٨/٨/١٩٢٤ ، وفى اجتماع حضرناه كلنا قررنا أن نخرج فى الغد فى مظاهرة نعبر فيها عن سخطنا واحتجنا على مظالم الانجليز فى السودان ونؤيد فيها اتجاهنا نحو مصر ^(٨) .

وقول محمد عثمان هذا يوضح لنا أسباب وهدف المظاهرة وهي :

أولاً : الخروج في مظاهرة للتعبير عن :

(أ) السخط على مظالم الانجليز في السودان .

(ب) النظار للاحتجاج على تلك المظالم .

ثانياً : تأييد اتجاه وحدة وادى النيل وهو هدف اللواء الأبيض (٩) .

وفي صباح السبت ٩ أغسطس خرج الطلاب إلى ميدان المدرسة وكل واحد منهم يحمل بندقية وخمسين طلقة رصاص . وقبل الخروج من المدرسة قام الطلاب بتبليغ الضابط المسئول بقرارهم وفي الساعة السادسة خرج الطلاب من سور المدرسة بهيئة منظمة تحت قيادة بشجاويش الفرقة محمد فضل الله الشناوى (١٠) . وتوقفت المظاهرة عند سكينات عباس التي كانت بها أورطة مصرية وهدف المتظاهرون بحياة الملك فؤاد الأول ثلاث مرات ثم استأنفوا سيرهم إلى محطة سكة حديد الخرطوم حتى يتمكن مسافروا قطارات خط الأبيض وبور سودان وحلفا / مصر من نقل خبر المظاهرة إلى الجهات الثلاث ناهيك عن نقلها للصحف المصرية كما ينقل خبرها المودعون إلى ذويهم في العاصمة . وكانت المحطة مليئة بالمسافرين والمرددين الذين انضم جزء منهم إلى المتظاهرين وساروا خلفهم يهتفون بحياة مصر والسودان (١١)

ومن محطة الخرطوم توجهت المظاهرة إلى منزل على عبد اللطيف — وكان بالقرب من المحطة خلف داخلية كلية الطب — وكان على مسجونا في سجن كوبر ، فأدوا التحية العسكرية للبطل السجين وهدفوا بحياته وقد خرجت زوجته ومعها نساء الحى يحمين الطلاب بالرغايد . وظلت جماهير الشعب تسير وراء المظاهرة بعضهم يتابعها في إعجاب بالبطل وتأيد لهدفها

والبعض تابعوا لبشبع هتافاً ويرتوى نداءً ولينفـس عن شعوره المكبوت
وينشدون مع الطلاب أناشيد خليل فرح فنان الثورة وشاعرها :

نيلنا يا نيل الحياة حياك حياك الحيا

ونشيد :

نحن ونحن الشرف الباذخ داني الكر شباب النيل

وتردد نشيد الشاعر عبيد عبد النور :

يا أم ضفاير قودي الرسن واهتي فليحيا الرسن^(١٢)

وعند ميدان عباس - هيئة الأمم حالياً - اعترض المظاهرة اللواء
مكاون باشا قائد الخرطوم وأمر الطلاب بالرجوع إلى ثكناتهم ، وكان رددهم
حازماً حاسماً مثل قرارهم في الخروج دكل من يعترض سبيلنا سيلقى
حتفه،^(١٣) . فانسحب مكاون أمام إصرارهم . وتقدمت المظاهرة حتى وصلت
مكان مبنى بنك السودان حالياً بالخرطوم وفي منتصف شارع الخديوي
إسماعيل - الجامعة حالياً - كمنت لهم قوة مكونة من رجال البوليس والتمايشة
المسلحين بالعصى الغليظة والذين استخدمتهم السلطات البريطانية لتفريق
مظاهرات اللواء الأبيض ومعهم قنندان البوليس ومستربيلي نائب مدير
الخرطوم . فاتخذ الطلاب تشكيلاً عسكرياً استعداداً للمعركة لولا أن تدخل
اللواء مكاون الذي تابع المظاهرات فأمر البوليس بالانصراف وأخذ
الموقف^(١٤) .

اتجهت المظاهرة شرقاً بشارع الخديوي - الجامعة - حتى قصر الحاكم
العام حيث وقفت ورددت الهتاف بحياة سجناء اللواء الأبيض وبحياة
السودان ومصر وسعد زغلول وعلى عبد الطيف وبسقوط الإنجليز . ولم
يعترض طريقها أحد ولم يتعرض لها حرس القصر ، واستمرت في سيرها

شرقا حتى عبرت كوبرى النيل الأزرق إلى السجن العمومى د كوبر ، فادت
التحية العسكرية أمام السجناء السياسيين وهتفت بحياة على عبد اللطيف وحياة
السودان ومهبر (١٥) .

بعد أن أدت المظاهرة مهمتها بنجاح وأبرزت شعورها واحتجاجها رجع
الطلاب إلى داخلاتهم بالمدرسة فوجدوا أن السلطات الإنجليزية قد جردت
المخازن من السلاح والذخيرة أثناء غيابهم بل أن المدرسة قد أحيطت بقوة
من الجيش الإنجليزى بعد أن دخل كل الطلاب فيها ووقف الجنود الانجليز
في حالة استعداد لاطلاق النار كما أمر قائدهم الطلبة بتسليم سلاحهم فرفض
الطلاب بل استعدوا من جانبيهم بأن قاموا باحتلال مواقع دفاعية في داخل
المدرسة وسطوح مبانيها (١٦) .

وفي تلك اللحظات الحرجة تدخل بعض الضباط السودانيين لتسوية
الموقف ولتخفيف حدة المواجهة وتهدة الثورة بإدخال أسلوب المفاوضة
والمساومة وكان هؤلاء الضباط اليوزباشية عبد الله خليل وأحمد عقيل وبلال
رزق وطلاب الضباط من الطلاب أن يسلموا سلاحهم ، وهو نفس الأمر الذى
أمر به الجيش الانجليزى من قبل ، وهنا اشترط الطلاب أن تنسحب القوة
الانجليزية أولا مقابل إلقاء السلاح . وجرى مشاورات سرية وافقت
بعدها القيادة الانجليزية على سحب قواتها على أن تحمل معها فرقة مصرية
وسلم الطلاب أسلحتهم لأركان حرب المدرسة (١٧) .

واسلم الطلبة وفرضت حراسة صارمة ورقابة دقيقة حول المدرسة
وأضيت الأنوار الكاشفة ليلا ووجهت داخل المدرسة لرصد أى تحركات
للطلاب أثناء الليل حتى لا يحدث شئ مفاجئ . وغير متوقع منهم نحو الساطة
أو ينصلوا بأى جهة خارج المدرسة . وبقي الطلاب ثلاثة أيام داخل أسوار
المدرسة وهم ينشدون الأناشيد الوطنية والأغاني الثورية . وخافت إدارة

المخابرات من قيام اتصالات بين الطلبة والفرق السودانية التي لا يقر لها قرار (١٨)، فسأقت الطلاب من المدرسة ووضعهم في سجن حاتم وهو عبارة عن باخرتين (الملك والشيخ) أوقفنا وسط قنيل الأزرق أمام مباني كلية غردون بعيداً من أن يصلهم أحد أو يتصلوا بأحد وهناك واصل الطلاب هتافاتهم وأناشيدهم وظلوا ساجدين على البواخر إلى أن بدأت محاكمتهم العسكرية في ٢٧ أغسطس .

ويعزى تقرير مستر ايورث الذي كتب في منتصف ١٩٢٥ إلى أن أسباب ودوافع مظاهرة طلبة المدرسة الحربية إنما هي شخصية بحتة وهي أن أوامر عسكرية صدرت بترقية اثني عشر طالباً من المدرسة الحربية في القاهرة وترقية اثنين فقط من مدرسة الخرطوم ولذلك خرجوا احتجاجاً على عدم ترقية اثنين (١٩) . ولنفي هذا الافتراض البعيد عن الحقيقة أود أن أعرض خطاباً أرسله الحاكم العام بالإنيابة مستر ولسي إلى اللورد اللنبي معلقاً فيه على المظاهرة وذلك في ٢١ أغسطس حيث قال : قبل حادثة مدرسة الخرطوم الحربية كان مظهرهم الخارجي يتم عن حسن النظام والرضا والطاعة ومن أكثر الأجهزة الحربية ولاء في السودان . لكن استمرار رأي موحد للطلبة والسرية التي أحيطت بها المؤامرة حتى نفذت تظهر على أنها كانت نتيجة لدعاية ماهرة ذكية ضد البريطانيين وربما نجحت إلى حد غير متوقع ، (٢٠) .

وأرى أن المقصود بهذا الوصف دعاية ذكية ضد البريطانيين أعضاء اللواء الأبيض ومؤيديها وقد اتهمت السلطات بعض المتقاعدين من الضباط والذين عرفوا بتأييدهم اللواء الأبيض حيث قالت ديبو أن الملازم أول معاش سليم الأمين وملازم أول متقاعد محمد شناوى وملازم أول موسى الله جابو كان لهم دور في قيام التمرد لأن محمد شناوى هذا له ابن وهو البشجاويش في المدرسة الحربية وقد جره والده في المناقشات معه ، (٢١) .

وما يؤكد القول بأن المظاهرة تناج طبيعى لفكر اللواء الأبيض قول
المخابرات بأنه بين د المدة من سبتمبر ١٩٢٣ إلى يونيو ١٩٢٤ أثبت أن
على عبد اللطيف استطاع أن يؤسس جمعية ذات نفوذ واسع . وقد استطاع
نفوذ على عبد اللطيف أن يتسرب إلى المدرسة الحربية وقد سماه الطلبة
د الأمل الأسود ، وهو البطل الوطنى وسار من وراءه الضباط السابقين
والسودانيين ، (٢٢) .

واهتمت السلطات بالمظاهرة اهتماماً كبيراً وذلك لأن عدداً من الطلاب
من أسسودانية ذات نفوذ دينى وقبلى وتجارى فى أجزاء مختلفة من السودان
اشترك فيها وإن أى عمل تجاه أبنائهم الطلاب سيؤثر على العلاقة بين الحكومة
وهذه الفئة (٢٣) .

ويقول أحمد بكر مصطفى (٢٤) أن الذين أهدوا وخططوا للمظاهرة هم
كل من محمد فضل الله الشناوى وإدريس عبد الحى ومحمد عبد العظيم خليفة
وأحمد بكر مصطفى .

وفى نفس اليوم الذى حدثت فيه مظاهرة طلبة المدرسة الحربية ضد
السلطات البريطانية قامت فى عطبرة مظاهرات استمرت لمدة ثلاث أيام
متواصلة ، كانت نتيجتها لأول مرة عدد من القتل وتغريب شامل لورش
السكة الحديد .

موقف الوحدات العسكرية بالأقاليم

لقد أثارَت مظاهرة طلبة المدرسة الحربية الجزع بين صفوف رجال
السلطة الانجليزية وقد سبق أن حذر مكتب المخابرات من خطر الثورة بين
الوحدات السودانية بمحاميات الجيش المصرى وهم الذين وصفوا خطأ بأنهم
الضباط السود المنحدرين من سلالة الرقيق ، (٢٥) . وقد رددت هذه العبارة

من قبل المخبرات ونفى هؤلاء وأولئك أن الضباط السود من سلالة القبائل
الفيلية على الأخص الدينكا الذين هاجروا أسلافهم أو أخذهم محمد علي بعد
مد الإدارة المصرية للسودان في عشرينات القرن التاسع عشر ليؤسسوا جيش
محمد علي الحديث ولم يكونوا رقيقاً قط . وهذه نعمة أثارها الانجليز لتسير
عليها سياسة فرق تسد التي تسميهم بالضباط السود وتسمى غيرهم بالعرب بل
وتصفهم بأنهم العنصر الأكثر تأثراً - سياسياً هم الضباط السود المفصولين
والذين في المعاش ولقد عرفوا بظهورتهم وتهديدهم وهذه الطبقة تتكون من
الضباط ذوي الشخصية القوية من أرباب المعاشات وأيضاً الضباط الذين
فصلوا بعد تقديمهم لمحساكم عسكرية تأديبية بسبب مخالفات عسكرية وهم
ينحدرون أصلاً من سلالة الرقيق الذين أبرزتهم يد القدر في كل التاريخ
السياسي للسنوات الأخيرة (٢٦) .

لقد برز موقف الوحدات العسكرية في الأقاليم في أربعة أحداث هي :

١ - حادثة العلم في واو :

بدأ الحادث في يوم ٢٤ أغسطس حين رفعت السلطات العلم المصري
القديم ذي اللون الأحمر بدلا من العلم الأخضر الجديد على مبنى المديرية في
صباح ذلك اليوم وتورد المخبرات بأن مدير المديرية قد رفع العلم الأحمر
القديم لأنه كان يرفع علما مصرية أخضر اخاصاً بالجيش (٢٨) وليس بالمديرية
وبما أنه عرف أن هنالك اختلافا بين علم الجيش وعلم المديرية ففضل أن
يرفع العلم القديم الأحمر بدلا من الأخضر الذي يخص الجيش . وهذا بالطبع
تبرير لما حصل وقد كان رد الفعل قويا من ضباط الوحدات العسكرية
التابعين للقوات المصرية ، فقد وجه أحد الضباط نظر مدير المديرية للتغيير
الذي حدث في العلم وسئل عن سبب تغييره وأن في هذا إساءة لهم وقد رد
مدير المديرية بما أورده المخبرات سابقاً . واستاء كل الضباط ومأمور

المركز مما أدى إلى أن يرفعوا الاحتجاج كجموعة لمدير المديرية ثم أرسلوا برقية احتجاج لوزير الحربية بواسطة القائد العام يحتجون على ما فعله مدير المديرية موضحين أن عمله إنما هو اهانة مقصودة للعلم المصري . كما أن المدير عندما مثل لم يعط مبررات (٢٨) . وبما أن الحادث ظفيف إلا أن الضباط من أعضاء اللواء الأبيض قد أحسنوا استغلاله وعلى رأسهم الملازم أول زين العابدين عبد النام الذي نقل إلى واو للتخلص من أفكاره الثورية ولتعتبر له كفى واعتبرت المخابرات أن الضباط المنتمين اللواء الأبيض وراء حوادث الإثارة والعنف وأنه من الواضح أن هؤلاء الضباط صلة بالخرطوم ومصر وأن هناك خطة موحدة لإثارة حوادث متعددة لتسكون دليلا على أن الجنوب كالشمال يزار تحت حكم الاستعمار البريطاني (٢٩) .

واتهمت السلطات البريطانية بعض الضباط المصريين بالإضافة للسودانيين بأنهم وراء حادث العلم فقامت بمحاكمة اثنين منهم باعتبارهم من زعماء الحادث في محكمة عسكرية قروت نقلهم للقاهرة .

وقد حلق تقرير ايورت عن اشتراك الضباط السودانيين في حادث واو بقوله إن طبيعة قسم يمين الطاعة الذي أداه الضباط لمصر وتطلعائهم الوطنية التي اكتسبوها من اتصالهم بالطلاب وطبقة الخريجين هي من أهم الأسباب (٣٠) .

٢ - مظاهر ملكال العسكرية :

في عيد الأضحى في سبتمبر ١٩٢٤ أقيم احتفال عام بالعيد بمسكن ١٢ جي أورطة سودانية ضم الموظفين والتجار والضباط والجنود في ملكال وقام اليوزباشي المصري نصر الدين بالقاء خطاب سياسي ندد فيه بالاستعمار وطالب بخروج الانجليز من البلاد وشجب محاولة الحصول على توقعات من الموظفين والتجار لضم السودان للتاج البريطاني حائلا الانضمام لمصر .

للعمل بدا واحدة ضد العدو المشترك ليحيا وادى النيل حياة طيبة (٣١) .

وكانت نتيجة الخطبة أن أعتقل فوزى ورضع بالسجن وتلا اعتقاله ضغط شديد من جانب الانجليز وسوء معاملة جعلت الأورطة في حالة تدهور أدت إلى أن يقوم الجنود بالتظاهر والثورة وقد جاها الشوارع في مظاهرات صاخبة ضد ما رأوا أنه إساءة عامة لقائدهم الأعلى الملك فؤاد وذلك من ضابط بريطاني فقاموا بصرف الذخيرة لأنفسهم وأقاموا حراسة على مخازن الذخيرة وسارت الأورطة في هيئة طاوور تمزق أمامه الموسيقى وترفع صورة الملك فؤاد هاتفة بحياته وحياة مصر والسودان وسقوط إنجلترا (٣٢) وانضم الموظفون المدنيون للمظاهرات مما أدى إلى أن يوجه الإنجليز اللوم لكل من الضباط السودانيين والمصريين بالحامية وموظفي الري المصري (٣٣) .

وفي اليوم التالي قبض على خمسة من ضباط الصف من بينهم على رمضان جابر ومحمد سعيد عبد الله وسليمان داود وعبد الله حبيب الله الذي كان يحمل صورة الملك . وبعد القبض عليهم أرسل انذار من مجهول إلى قائد الأورطة الانجليزية بتهديده بالقتل وجميع الانجليز كما جرت محاولة لحرق منزله واتهم بارسال خطابات التهديد وإثارة الجنود وصف الضباط للتظاهر عدد من الضباط السودانيين والمصريين الذين أمروا بالقيام بالخرطوم وهم كل من الملازم ثاني عبد العزيز حيدر ، محمد شريف ، على البنا ، عزيز شريف ، ومحمود التومي الذي نقل إلى ١٠ جى أورطة بتلودى (٣٤) .

وحكم على ضباط الصف الخمسة لمدة تراوح بين سنتين وستة سجنًا مع تخفيض رتبهم إلى درجة نقر ونقلوا للسجن الحربى بالخرطوم وبالرغم من ذلك طلب مدير المديرية ارسال نجدات سريعة له وأرسلت له فرقة انجليزية على باخرة خاصة خوفا من قيام مظاهرات جديدة (٣٥) .

٣ - أحداث تلودى :

كانت حادثتا وار وملسكال نذيرا بالحوادث اللاحقة في وسط الفرقة العسكرية .

كانت الأورطة العاشرة السودانية معسكرة في تلودى عاصمة مديرية جبال النوبا وكان كل ضباط الأورطة مصريين ما عدا ستة منهم سودانيين وقائد الأورطة انجليزى ، ولما حدث اغتيال ستاك بمصر وما تبعه من انذار وأمر إبعاد الجيش المصرى من السودان ، جمع قنندان الأورطة من جنود وضباط سودانيين ومصريين وبعد أن قرأ علينا قرار الحكومة الانجليزية والقاضى بإبعاد القوات المصرية من السودان طلب من الجنود مغادرة الطابور إلى حيث يسكنون ورجع الضباط المصريون إلى المعين ولم يبق غير السودانيون وهم :

اليوزباشى خضر على ، والملازمين محمد جلال وعبد الحميد فرج الله ، سيف عبد الكريم ، محمد صديق ومحمود التومى ، (٣٦) .

استاء الضباط السودانيون من هذا التصرف واتفقوا على الوقوف بجانب إخوانهم الضباط المصريين . واجتمع الضباط الستة باخوانهم المصريين داخل ثكناتهم واقسموا بأن لا يخرجوا لطابور طرد منه الضباط المصريون وكان ذلك في يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٢٣ . ويقول عبد الرازق ربحان « ان الضباط السودانيين قد اتصلوا بالقومندان الانجليزى وأبلغوه بأنهم لا يتخلون عن زملائهم الضباط المصريين وبما أنهم يدينون بالولاء للملك مصر فليس أمامهم إلا الرحيل إلى مصر مع أولئك الضباط . وطلب القومندان منهم تسليم مسدساتهم ليتسنى له الإستجابة لرغبتهم والسماح لهم بمرافقة الضباط المصريين فهددوا القومندان فأنصل بالمدير الانجليزى نورسكوت الذى وضعهم مع الضباط المصريين بالحبس الاجبارى فى الحبس

واتتدب سرية تتألف من ٤٤ جندي و٢٠ صف ضابط ومع كل واحد منهم ٧٥ طلقة وأمر أولئك الجنود بعمل كردون على الميس،^(٣٧) .

وفي اليوم التالي ٢٥ نوفمبر استطاع أحد الضباط السودانيين أن يرسل خطاباً لجاويش طالباً تسليمهم من الاعتقال فقام الجاويش بجمع ٤٠ جندياً وبعد أن أقسموا جميعاً على المصحف توجهوا إلى مكان اعتقال الضباط حيث استطاعوا أن يستبدلوا الحرس الموجود وبعدها إطلاق سراح الضباط وتسليمهم مسدساتهم وبذلك صارت الأورطة في حالة ثورة كاملة بعد أن استولوا على مخازن الذخيرة واستقلت الأورطة بزمام الأمر في المدينة بقيادة اليوزباشى خضر على والملازم ثان عبد الحميد فرج الله مما اضطر السلطات البريطانية إلى استقدام قوة الهجانة من الأبيض لتعين على استرداد الموقف كما قامت ٣٢ عربية مدرعة من الخرطوم بحمل فرقة من الجيش الانجليزى^(٣٨) .

وبعد جهود سلبية عفيفة استسلم الثوار في ٢٨ نوفمبر واعتقل الضباط الستة وأرسلوا للخرطوم واعتقلوا في الطابية الانجليزية ثم حوكموا بعد ذلك . أما الأورطة فقد تم تسريحها بعد الحادث مباشرة .

٤ - مظاهرة الهجانة بالأبيض :

كان اليوزباشى محمد صالح جبريل قائداً لبلوك الهجانة بالأبيض عاصمة كردفان وقد تمكن من إثارة قوات الهجانة حيث طاف بهم المدينة جنوده بين زغاريد النساء وهتاف الرجال بحياة ملك مصر والسودان ، وحياة سعد زغلول ، فاعتقل وأرسل إلى سجن كوبر بالخرطوم بحرى ، إلى أن حوكم فيما بعد^(٣٩) .

ملحمة ٢٧ نوفمبر

لم يكد الحديث في المجتمع يبدأ بعض الشيء عن مظاهرة المدرسة

الحربية بالخرطوم حتى فوجئت العاصمة بصوت الرصاص يدوى من الجانب الشرقى منها وعرف أن عدداً من الضباط والجنود أرادوا أن يجتازوا كبرى النيل الأزرق في طريقهم إلى الخرطوم بحرى بفرض الاتصال بالجيش المصرى الذى كان يتأهب لمصادرة السودان إثر الأزمة الانجليزية المصرية بعد اغتيال سيرلى سميث حاكم عام السودان بمصر والإنذار البريطانى للحكومة المصرية بخروج الجيش المصرى من السودان .

كانت القوة السودانية المتجهة صوب الخرطوم بحرى تتكون من نحو ١٢٠ جندياً ولكنها قوة ممتازة مكونة من ضباط الصف المدربين تدريباً عالياً على استعمال الأسلحة ومن الكتيتية ١١ جى أورطة السودانية بقيادة عدد من الضباط هم عبد الفضيل الماظ وحسن فضل المولى وثابت عبد الرحيم وسليمان محمد وسيد فرج وعلى الينا^(٤٠) . وتزودت القوة بكل الذخيرة الموجودة في مدرسة ضرب النار فكان في حوزتهم زيادة على بنادقهم أربعة مدافع مكسيم وعدد من صناديق الذخيرة ، وقام سيد فرج قبل أن تتحرك القوة بفك سراح جميع الجنود الذين كانوا في السجن الحربى ، وكان عددهم نحو الستين وسلمهم حسن فضل المولى سلاح بدون ذخيرة وطلب منهم الحصول على ذخيرة والانضمام إلى عبد الفضيل الماظ كقوة احتياطية^(٤١) .

وفي نحو الساعة الرابعة مساء يوم ٢٧ نوفمبر خرجت هذه القوة في قوة وحراسة واستقبلتها شوارع العاصمة بجماهير معجبة وهى تسير من نكبات توفيق متجهة إلى كبرى النيل الأزرق عن طريق شارع الخديوى ، الجامعة حالياً ، ماردة برئاسة الجيش المصرى ، البوستة حالياً^(٤٢) . ويقول على البناد وقد احتك بنا لإنجليزى خرج من دكان حلاق وشق صفوفنا ومنعه سليمان محمد من المرور بين الصفوف وقد هدده بالمسدس فرفض وانصرف وبعد قليل جاء اللواء مكافى وسألنا هل تريدون ضرب الجيش الانجليزى؟

فقلنا له لا ، وإن غرضنا أن نذهب للخرطوم بحرى لئلا ننضم لإخواننا المصريين باعتبارنا مقيدين بيمين الولا والطاعة إلى مصر مع الجيش المصرى . فطلب أن يذهب الضابط ويبقى العساكر فرفضنا . وبعد ربع ساعة جاءنا هدلستون باشا نائب السردار ، وطلب منا أن نتفاوض معه فرفضنا وقلنا إننا لا نعرف هدلستون باشا بل نعرف رفعت بك فقط وإن المفاوضات مع رفعت بك فى بحرى ،^(٤٣) .

واستمروا فى سيرهم نحو الخرطوم بحرى وبالقرب من وزارة الثروة الحيوانية حالياً ، مبنى المجلس الطبى وقفت القوة السودانية عندما رأت أمامها الجيش الانجليزى يسد شارع الخديوى ، وقد احتل كلية غردون بقسميها الكليات والداخليات وأخذت تشكيلاً حربياً لتتصدى للقوة السودانية وترغمها على الرجوع ، كما فتح كبرى النيل الأزرق - الموصل بين الخرطوم والخرطوم بحرى - ليستحيل عليهم الذهاب لبحرى أو وصول أى قوات من بحرى^(٤٤) .

وبعد ذهاب هدلستون أطلقت القوة الانجليزية طلقات فى الهواء إرهاباً وتخويفاً ، فما كان من ضباط القوة السودانية إلا أن أمروا جنودهم أن يتحصنوا بالجداول على طرفى الشارع وصوبوا نيرانهم الحامية بسرعة خاطفة على الجنود البريطانيين فأبىد عدد من جنود الفرق الانجليزية المرافقة .

ويقول على البينا د ولا أبالغ إذا قلت إن أورة بجالها قد أيدت أى حوالى ٦٠٠ جندى من فرقة الاسكتلنديين ، وتقول جريدة الرأى العام إن العدد الذى أيد بلغ السبعائة جندى ، ويقول تقرير المخابرات ، كانت ضحايانا كثيرة^(٤٥) .

وظلت الملاحمة دائرة بعنف ولم تبدأ حتى منتصف الليل ، ويقول البينا د إنه فى حوالى الساعة الحادية عشر مساء جرح عبدالفضيل الماخذ ، فأرسلته

للمستشفى العسكري ، رئاسة وزارة الصحة حالياً ، بجوار مكان المعركة
ومعه حرس اثنين عساكر ولكن للأسف كان جيكمباشي المستشفى الانجليزى
مجرداً من الإنسانية فبدلاً من إسعافه قتله ، وكان حرس عبد الفضيل الماظ
جاويز من جبال النوبا اسمه أرتييكو نجاء فى حالة حزن وأخبرنا بأنه قتل
الضابط الانجليزى واثنين شوام انتقاماً لقتل الماظ ،^(٤٦) وهذا القول
يبرز شيئاً جديداً عن موت عبد الفضيل الذى أوردته كل الكتب والصحف
التي تناولت الحديث عن ملحمة ٢٧ نوفمبر بأنه استشهد وهو يحمل ملحقه
المكسب إلى أن تحطم فيه جانب من مبنى المستشفى^(٤٧) .

واستمرت الملاحمة بين الفريقين حتى صبحوة يوم الجمعة ٢٨ نوفمبر وقد
نفدت الذخيرة من بعض الجنود السودانيين قرب منتصف الليل ، فأخذوا
يتسللون ويختفون . وقد تمكن سيد فرح من عبور النهر إلى الخرطوم بحرى
حيث اتصل بالجيش المصرى وسافر معه دأما سليمان محمد وحسن فضل المولى
وثابت عبد الرحيم وأنا ، فقد اجتمعنا بعد أن صارت القوة غير متكافئة
وعرفنا العساكر ليدافع كل عن نفسه وذهبنا إلى أم درمان بمراكب السمك
والأسف انضم بعض الضباط الذين كانوا معنا للقوات البريطانية ووجهوا
مدافعهم علينا من الحلف من رئاسة الجيش المصرى وقد عبر بعض هؤلاء
عن هذه العملية بأنها شغل أولاد^(٤٨) .

ومثد مساء ٢٨ نوفمبر شرعت السلطات فى إلقاء القبض على الضباط
المشاركين والمتهمين ومن يعثر عليه من الجنود الذين تسللوا بعد نفاذ
ذخيرتهم ، وبمجيء مساء السبت ٢٩ نوفمبر كان قد تم اعتقال كل من سليمان
محمد وثابت عبد الرحيم وعلى البنا ، أما حسن فضل المولى فقد سلم نفسه ،
وهكذا انتهت ملحمة ٢٧ نوفمبر التي وصفها الشاعر السودانى حسين منصور
بقوله :^(٤٩) .

يا لها ليلة ويوماً عبوساً تركا الشعب شاخصاً للبياء
يسأل الله رحمة ومصيراً كاملاً في الحقوق حتى البقاء
عاش أهل الجنوب أخوة مصر في الضحايا وعاش كل فدائي

وقد شهد البريطانيون بموقف الذين اشتركوا في ملحمة ٢٧ نوفمبر حيث وصفهم بأنهم قاوموا مقاومة عنيفة وإن الأمور لم تعد إلى مجاريها إلا بعد أن استعان الجيش خلال أربع ساعات بمدافع قاذفة... وبنادق سريعة الإطلاق (٥٠).

إن ما حدث في عصر الخميس ٢٧ نوفمبر ١٩٢٤ لم أحد تعليلاً لأسبابه المباشرة حتى الآن . وما قيل من الأسباب هو في الغالب ما استنبط من ظروف الأحداث وما أدى إليه الاستقرار العام . وما قيل في أسباب تلك الملحمة الدامية ، إن الحادث كان نتيجة مؤامرات ضد الانجليز دبرت في مصر وهذا النرد يظهر أنه نفذ بناء على أمر آخر من القائمقام أحمد بك رفعت من المدفعية وغيره من المصريين . وقد وعد الضباط الذين قاموا بتحريض رجالهم ضد الانجليز على أنه بعد إطلاقهم القذيفة الأولى فإن المدفعية المصرية ستشارك معهم بضربها للطايرة والقصر وثكنات الجيش الانجليزي (٥١) .

هذا ما كان يتصوره أو يقدره الحكم الانجليزي في السودان إنه السبب المباشر ويدحض هذا الزعم ما قاله أحد زعماء الملحمة ، اجتمعنا نحن الضباط الستة الموجودين ، وقررنا باعتبارنا مقيدين بيمين الولا والطاعة لملك مصر أن ننضم إلى القوات المصرية وننفذ تعليمات رفعت بك سواء بالبقاء في السودان أو السفر إلى مصر مع الجيش بعد حضور مندوب الملك (٥٢) . وهذا القول يوضح أن الضباط السودانيين كانوا يريدون الانضمام لقيادة رفعت بك ولاء للقسم الذي أدوه بالولا لملك مصر وهو قائم الأعلى وأنهم يريدون الهجرة لمصر لتأمين مستقبلهم في الجيش المصري . وهذا الرأي هو

الذى أراه يجرى فى مجرى الواقع ، ويفيده قول أحد الذين قادوا واشتعلوا
فى الملحمة .

أما الوجه الآخر للمعادلة وهو مسألة وعد الجيش المصرى بالتدخل
فى الوقت المناسب وبعد أن يشعل السودانيون القتيل فينفي الإجابة بنعم
إنه لم تتحرك أى كتبية مصرية خاصة والقتال كان يدور قريباً من كوبرى
النيل الأزرق حيث كان الجيش المصرى يعسكر على البر الشرقى فى الخرطوم
بمصر ، أو على بعد لا يزيد عن الميل ، وإن القتال استمر ليل الخميس
وصباح الجمعة .

الحواشي

- (١) F. O. 371/100537 page 17.
- (٢) المرجع السابق ص ٢٥
- (٣) intell. 11. 6/14/40 No. 359 Apprendinse.
- (٤) عبد الكريم السيد : اللواء الأبيض ثورة ١٩٢٤
- (٥) Intell. 11. 6/14/40 No. 359 page 12.
- (٦) F. O. 371/10905 page 12.
- (٧) المرجع السابق تقرير ا . يورت .
- (٨) جريدة الرأى العام عدد ٣١ مارس ١٩٥٦ ذكريات محمد عثمان عبد البقيت .
- (٩) المرجع السابق .
- (١٠) F. O. 371/10905/page 35.
- (١١) محمد عبد الرحيم : الصراع المسلح من أجل الوحدة ص ٢٣
- (١٢) حسن نجيلة ملامح من المجتمع السوداني ص ١٨٤
- (١٣) الرأى العام : عدد ٣١ مارس ١٩٥٦ م .
- (١٤) محمد عبد الرحيم : الصراع المسلح ص ٢٤
- (١٥) الرأى العام : عدد ٣١ مارس ١٩٥٦
- (١٦) Intell No. 361/ Aug. 1924 page. 5.
- (١٧) الرأى العام عدد ٣١ مارس ١٩٥٦
- (١٨) Intell. No. 361/Aug. 1924. Apperdix s.
- (١٩) F. O. 371. 10905. page. 24.
- (٢٠) F. O. 371/10053/telegram from Sterryto Allenly.
- (٢١) palace ; 4/9/47 p. 1153.
- (٢٢) Intell No. 361 Aug. 1924.
- (٢٣) Ibid. page. 5.
- (٢٤) من طلبية المترجمة الحربية — أقواله للجنة تكريم ثوار ١٩٢٤
- (٢٥) Bakhti. G. M. A. British Adminstrtionand.sudanese Nationalism p. 96.

- F. O. 371/10905. reperton Political Agitation. (٢٦)
- F. O. 371/10905/page/13 (٢٧)
- intell : 6/14/46. No. 361/pag  8. (٢٨)
- F. O. 371/10905 page 14 (٢٩)
- F. O. 371/10905 page 14. (٣٠)
- (٣١) من أقوال على رمضان جابر الجندى سابقا في ١٢ أجي أورطة في ملكال حين أخذت أقواله عند تكريم ثوار ١٩٢٤ مخفوظة بدار الوثائق المركزية / الخرطوم .
- palace : 4/9/42 page 8:5. 25/9/1925. (٣٢)
- F. O. 371/10905 page 14. (٣٣)
- (٣٤) المصدر السابق ص ١٤
- (٣٥) المصدر السابق ص ١٥
- (٣٦) من حديث عبد الرازق ربحان الذي كان جندي برتبة امباشي في تلودي سيمير ١٩٢٤ وشارك في هذه الأحداث — أخذت أقواله عند تكريم ثوار ١٩٢٤ . مخفوظة بدار الوثائق المركزية بالخرطوم .
- (٣٧) المرجع السابق .
- F. O. 371/10905. page 16. (٣٨)
- (٣٩) محمد عبد الرحيم : الصراع المسلح حول الوحدة ص ٨٠
- (٤٠) على البنا : من حديثه في مقابلة له معه يوم ١٩٢٤/٧/١ بمنزله في القاهرة .
- (٤١) حسب الخريطة في الملحق .
- Intell : 6/14/46 No. 364 nov 1924. (٤٢)
- (٤٣) حسب الخريطة في الملحق .
- (٤٤) من حديث مع على البنا .
- (٤٥) جريدة الرأي العام عدد مارس ١٩٥٦
- (٤٦) من حديث مع على البنا (لواء م) .
- (٤٧) من حديث مع على البنا (لواء م) .
- (٤٨) محمد عبد الرحيم : الصراع المسلح حول الوحدة ص ٨٥
- (٤٩) من حديث مع على البنا (لواء م) .
- (٥٠) قصيدة الشاعر السوداني/ حسين منصور نشرها محمد عبدالرحيم في كتابه الصراع المسلح حول الوحدة ص ٨٠
- F. O. 371/10905 page 12. (٥١)
- Intell : 6/14/46 No. 364 nov 1924. (٥٢)
- (٥٣) من حديث مع على البنا (لواء م) .

مصادر البحث

مراجع :

- عبد الكريم : اللواء الأبيض ثورة ١٩٢٤ مذكراته ونشرته شعبة
أبحاث السودان ١٩٧٠ .
- محمد عبد الرحيم : الصراع المسلح على الوحدة في السودان . القاهرة
بدون تاريخ ، محزون الباحث .
- المتطلع (حامد القرضاوى) ضحايا مصر في السودان وخفايا السياسة
البريطانية ١٩٣٥
- سليمان كشة : أسرار ووثائق تاريخية ، بدون تاريخ ، الخرطوم .
- د د : عاينات اللواء الأبيض د د
- د د : سوق الذكريات ، ١٩٦٣ الخرطوم .
- محمد لييب الشاهد وأحمد بك رفعت : مذكرتان عن أعمال الجيش المصرى
في السودان ومأساة خروجه منه - الاسكندرية ١٩٣٦
- حسن فحيله : ملاحظ من المجتمع السودانى - بيروت ١٩٦٤
- داؤد بركان : السودان المصرى ومطامع السياسة البريطانية -
مصر ١٩٢٤
- مبارك بابكر الربيع : ثورة ١٩٢٤ - الخرطوم .

(١) وثائق غير منشورة :

- ١ - أوراق وبحث الخاصة بجامعة درهام بانجلترا .
- ٢ - وثائق مركز المحفوظات العام - لندن . F.O.

٣ - وثائق من دار الوثائق المركزية بالخرطوم .
(أ) تقارير المخابرات .

(ب) مراسلات قصر الحاكم العام وتقاريره . Palace.

(ج) وقائع مجلس الحاكم العام . Gence.

(د) ملفات الأمن . Security.